جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

اللغة الرمزية في المقابلة ومدلولها في الكشف عن الجريمة

الدكتور عطاالله الخالدي

الرياض

1408 هـ - 1988 م

اللغة الرمزية في المقابلة
ومدلولها في الكشف عن الجريمة

الدكتور عطاالله الخالدي(*)

ان اللغة الرمزية أو ما يطلق عليها علمياً باللغة غير اللفظية كلغة الجسم، أو لغة الاشارات تعتبر هامة في التفاعل الاجتماعي حيث أن الدراسات العلمية الحديثة التي أجراها علماء النفس الاجتماعيون وغيرهم من العلماء في ميادين مختلفة كحقل علم الاجتماع، وعلم الانسان، وعلم الحيوان، قد أظهرت مدى أهمية هذه اللغة الرمزية في فهم السلوك الانساني، واذا ما أراد المحقق الجنائي أن يتعرف على الدوافع الشعورية واللاشعورية الخفية لسلوك الانسان، فعليه أن يتوصل الى حل الألغاز التي تعبر عنها تلك اللغة الرمزية.

مما لاشك فيه أن باستطاعة رجل الأمن مثلاً أن يتعرف بالملاحظة الطويلة على ابجديات هذه اللغة الرمزية أثناء ممارسته اليومية للتحقيق مع المتهمين، حيث أن هناك عدة مواقف وأوضاع رمزية يتخذها المتهم أثناء التحقيق هي اضافة الى لغة الكلام، فهناك

(*) كلية الآداب. علم النفس. جامعة اليرموك. المملكة الأردنية الهاشمية.

تعبيرات الوجه أثناء التحقيق التي تتضمن حركات الحواجب وفتحات العيون والفم، كما أن هناك حركات الرأس والطريقة التي يجلس بها المتهم أو يقف بها أمام المحقق، كما أن هناك المسافة التي يتخذها المحقق للفصل بينه، وبين المتهم، جميع هذه الأوضاع والمواقف للمتهم تشير الى لغة رمزية لها دلالتها في التحقيقات الجنائية.

والجدير بالذكر أن هذه اللغة الرمزية معقدة وشائكة اذ أن الدراسات العلمية في مجالات علم النفس الاكلينيكي والدراسات على المجتمعات المختلفة أظهرت مدى تعارض وتناقض اللغة الرمزية في الحضارات المختلفة وكثيراً ما تناقض لغة الكلام، ومن بعض الأمثلة الحية التي يسوقها الينا أحد الباحثين ما أشارت اليه احدى الدراسات الاكلينيكية عما ذكرته احدى الفتيات للأخصائي النفسي عن حبها لخطيبها بينما كانت تحرك رأسها من اليمين الى اليسار بطريقة لا شعورية معبرة بذلك عن عدم رغبتها في تلك العلاقة، يستدل من المثال السابق مدى تناقض لغة الكلام مع اللغة الرمزية التي عبرت عنها الفتاة بجسمها بطريقة لاشعورية.

كما أن احدى الدراسات في علم النفس الاجتماعي عن ديناميات العلاقات الانسانية بين أفراد الأسرة الواحدة تشير الى الأب الذي يجلس بين أفراد أسرته ساكناً صامتاً رافع الرأس وعلى وجهه ابتسامة هادئة، فانما يرمز بذلك عن شعوره بالرضا والسيطرة على أمور أسرته مع أن الأب لم يتفوه بكلمة واحدة.

اللغة الرمزية وعلاقتها بالاستجابات الفسيولوجية:

تدل الدراسات المختلفة التي أجراها علماء علم النفس الفسيولوجي على وجود علاقة بين اللاشعور والاستجابات الفسيولوجية اذ أشارت عدة دراسات عن تأثير اللاشعور في تغييرات جسمية وقد أكد علماء النفس الاكلينيكيون ذلك فيشيرون الى الأمراض النفسية كالشلل الهستيري، والأمراض السيكوسومانية، ومن الدراسات التي أظهرت هذه العلاقة عن تأثير اللاشعور بالجسم هي ما توصل اليه الباحثون عن اتساع حدقة العين نتيجة لانفعالات لا يعبر عنها الفرد لفظياً أو شعورياً، اذ تبين أن ازدياد أو نقصان اتساع حدقة العين ترتبط بما يشاهده الفرد من مثيرات مختلفة، فلقد أشارت احدى الدراسات عن اعلانات الدعاية للسلع التجارية على التلفزيون بأن مدى اتساع حدقة العين يدل على مسرة المشاهد للسلعة المعلن عنها والعكس صحيح.

المسافات ودلالتها في اللغة الرمزية:

تشير الدراسات التي أجريت في حضارات مختلفة وعلى الحيوانات بأن للمسافة بين الأفراد دلالة رمزية تشير الى الملكية الأرضية أو الرتب الاجتماعية، ويمكن اجمالاً تقسيم المسافات ومعانيها الرمزية الى أربع دلالات.

١ ـ المسافة الملاصقة بين الأفراد:

وتعتبر عادة المسافة الملاصقة بين الأفراد في معظم الحضارات مالا تتعدى نصف متر، وترمز هذه المسافة الى علاقة خاصة جداً بين الأفراد المتواجدة في ذلك الوضع كما هي الحال بين الزوجين أو الحبيبين أو المسافة بين أولياء الأمور ونسلهم، أو الأشقاء مع بعضهم البعض.

وتدل هذه المسافة على شعور بالدفء وعاطفة قوية وترمز عكس تلك العلاقة بالجفاء كمثال زوج يجلس بعيداً عن زوجته مما يستدل من ذلك وجود خلاف أو تنافر بين الزوجين، كما أنه لو جلس رجل غريب على مسافة ملاصقة لأمرأة لا يعرفها فان هذا التصرف يسبب لها الازعاج والغضب وذلك لأن قرب المسافة لها مدلول خاص يخالف شعور المرأة تجاه ذلك الرجل الغريب.

المسافة القريبة بين الأفراد:

وتعتبر عادة بين نصف متر وحوالي متر ونصف وترمز الى وجود علاقة شخصية بين الأفراد، وتجد هذه المسافة عادة بين الأصدقاء والأقارب البعيدين نسبياً وزملاء العمل، واذا ما تجاوز أحدهم هذه المسافة بالقرب أو البعد فان ذلك يرمز الى تغير في العلاقة بين الشخصين.

المسافة المتوسطة بين الأفراد:

وتكون عادة بين حوالي متر ونصف الى ثلاثة أمتار وترمز الى علاقة شبه رسمية بين المتقابلين كعلاقة الفرد بالبائع.

المسافة البعيدة بين الأفراد:

وتكون عادة بين ثلاثة أمتار وخمسة أمتار وترمز الى أن العلاقة بين المتقابلين رسمية كما هي الحال بين الأستاذ وتلامذته وعلاقات الأفراد أثناء المؤتمرات أو اللجان الرسمية، أو بين الرئيس والمرؤوس أو بين رؤساء الدول ورعيتهم.

الأقنعة الرمزية:

يشير العلماء الى عدة أقنعة رمزية يلجأ اليها الفرد لاخفاء شعوره الحقيقي منها تعبيرات الوجه والابتسام والأناقة والملبس وطريقة تصفيف الشعر، وطريقة المشي والوقوف والجلوس وغيرها من حركات أعضاء الجسم ليعبر لاشعورياً عن إدراكه أو شعوره لما يثيره، فمثلا الابتسامة لا تدل فقط على المسرة والبهجة بل ان الابتسامة نفسها يمكن ان ترمز عن شعور بالقلق أو القهر أو الاعتذار عن سلوك صادر من الفرد أو قد تدل الابتسامة على رغبة الفرد في الاقدام على شيء مخالف أو قد يعبر عن رغبة في الكذب أو النفاق وما الى ذلك من أغراض مختلفة.

هنالك أيضاً ابتسامة استدرار العطف التي تشاهدها على وجه الطفل عندما يقدم لملاقاة والده أو ابتسامة الزوجة للتودد عند ملاقاة زوجها، أو ابتسامة الاعتذار لشخص تخالف معه مسافة القرب كما هي الحال في المطعم أو المصعد.

أما الملابس أو الأناقة فلها دلالات رمزية خاصة أيضاً، اذ تشير الدراسات الاكلينيكية الى الملابس الرثة التي تظهر على المرضى في المستشفيات العقلية نتيجة لشعور المرضى بعدم الاكتراث بالواقع وعدم تحمل المسئولية الاجتماعية، لذا فان الشخص الذي يعاني من اضطرابات نفسية كثيراً ما يعبر عن شعوره المضطرب بعدم الاكتراث بقيافته ونظافته أو انسجام الملبس أو تناسق الألوان.

أما طريقة الجلوس فلها أيضاً معانٍ خاصة ترمز الى الاحترام والفضيلة أو الاستهتار وعدم المبالاة، فعلى سبيل المثال ان المرأة الفاضلة تجلس بطريقة حضارية تحددها لها القيم والعادات في ذلك المجتمع كأن تغطي ركبتها بسروالها وتضم ركبتيها باتجاه واحد، أما المرأة التي تخالف ذلك فانما تشير بسلوكها الى عكس الفضيلة والاتزان.

كما ان المرأة التي تترك الازرار العليا لسروالها مفتوحة لتظهر مفاتن جسمها فانها بذلك ترمز الى شعور بالاستهتار والخفة وعدم الاكتراث، بينما الرجل الذي يترك أزرار قميصه العليا مفتوحه فانما يعبر عن رغبة لاشعورية في اظهار مفاتن رجولته التي يتشكك فيها.

اللمس والرمزية:

طريقة اللمس لها أيضاً الدلالة الرمزية، فهناك لمس الأشياء ولمس الأفراد وهناك اللمس الخفيف، واللمس الشديد تشير الدراسات المختلفة على الأطفال والمكفوفين ان حاسة اللمس تستعمل لادراك العالم الذي حولهم وللتعبير عن مشاعرهم وادراكهم تجاه ما يلمسون، ان الأب أو الأم التي تلمس أطفالها وتحتضنهم برفق فانما ترمز عن حبها وحنانها لأطفالها، أما الطفل الذي يلمس والديه باستمرار ويمسك بها بشدة فانما يعبر عن شعوره لعدم الأمان والخوف ورغبته في الاحتماء بوالدته، وعندما يصل الفرد مرحلة المراهقة أو الرشد، لا يلجأ للتعبير عادة بواسطة اللمس الاَّ اذا كان مضطرباً نفسياً أو متخلفاً عقلياً، ويلجأ عادة الى التعبير عن مشاعره وادراكه بلغة الكلام، فلغة اللمس الخفيف ترمز الى العطف والقبول والمحبة أو الحاجة الى الحماية، أما اللمس الشديد الذي يصاحبه الضغط فانه يرمز الى التهديد أو الحزم أو الرفض أو عدم الرضى.

الصمت والرمزية:

كثيراً ما يلجأ الفرد الى اللغة الصامتة أو السكون ليعبر عما يشعر به أو يجيش في خاطره، فالمرأة الحزينة تركن الى السكون والصمت لتعبر عن حزنها، أما المرأة التي تسعى الى لفت النظر فانها تحرص على تحريك جسمها باستمرار، كأن تقدم على تلميس شعرها بيديها أو تعديل زينتها، أو هندامها باستمرار، أما الرجل الذي

يسعى الى لفت النظر فانه يلجأ الى تمشيط شعره وتعديل هندامه باستمرار ويحرك جسمه جميع هذه الحركات الصامتة على الفرد ترمز كثيرا الى لفت الانتباه لطلب التودد والتحبب أو القبول.

لغة الوقوف والجلوس وتعبيرات الوجه كالرمزية:

ان طريقة الوقوف يمكن أن تعبر عن عدة انفعالات للفرد، فطريقة الوقوف يمكن أن تدل على أن الشخص مكتئب أو غاضب أو يشعر بالحنان والدفء أو حتى باليأس، فمثلاً عندما يواجه شاب فتاة تجده يشد عضلات المعدة الى الداخل وتنتصب القامة، بينما في حالة الاكتئاب يرخي عضلات المعدة الى درجة تدل في كثير من الأحيان عن الحالة الانفعالية والذهنية للفرد، كما أن جمود التعبير في الوجه، وعدم تحريك الجسم يدل على ان الشخص الذي تواجهه منضبط الانفعال جداً أو في حالة قصوى من اللامبالاة لدرجة عدم الاحساس بما حوله في شخص يعاني من صدمة انفعالية حادة نتيجة لهول ألم به.

ان طريقة الجلوس ووضع الجسم تجاه الفرد المقابل له دلالته أيضاً فمثلا في الحفلات تشاهد بعض الأفراد يجلسون بطريقة تعبر عن عدم رغبتهم في مشاركة الآخرين لهم في الحديث، فعندما يجلس أحد الأفراد ويضع الرجل اليمنى فوق الرجل اليسرى ويميل بجسمه الى اليسار باتجاه الفرد فان ذلك يدل على الرغبة في الاهتمام بذلك الشخص والعكس صحيح، كما أن الجلوس وجهاً لوجه يعني

الاهتمام بينما الجلوس على جانب الشخص يعني شعوراً عادياً بالنسبة لذلك الشخص.

هذا ويلاحظ في الاحتماعات بأنه عندما يجلس الأفراد بطرق متشابهة فان ذلك يدل على الانسجام والتوافق فيما بينهم وان لوحظ بأن أحد الأفراد يجلس بطريقة مخالفة للباقي فيدل ذلك على عدم انسجامه أو توافقه مع الجماعة، لاحظ الجلوس على الأفراد بجلسة تضم ربت مختلفة لرجال الأمن في صالة مشتركة، فطريقة الجلوس ووضع الجسم يدل على المكانة التي يتمتع بها الفرد بين الجماعة وأن قائد الجماعة هو الذي يقرر طريقة الجلوس ووضع الجسم أثناء الجلوس مع الأفراد الباقين.

الملحقـــــات(*)

١ ـ تعبيرات الوجه الرمزية ودلالاتها.

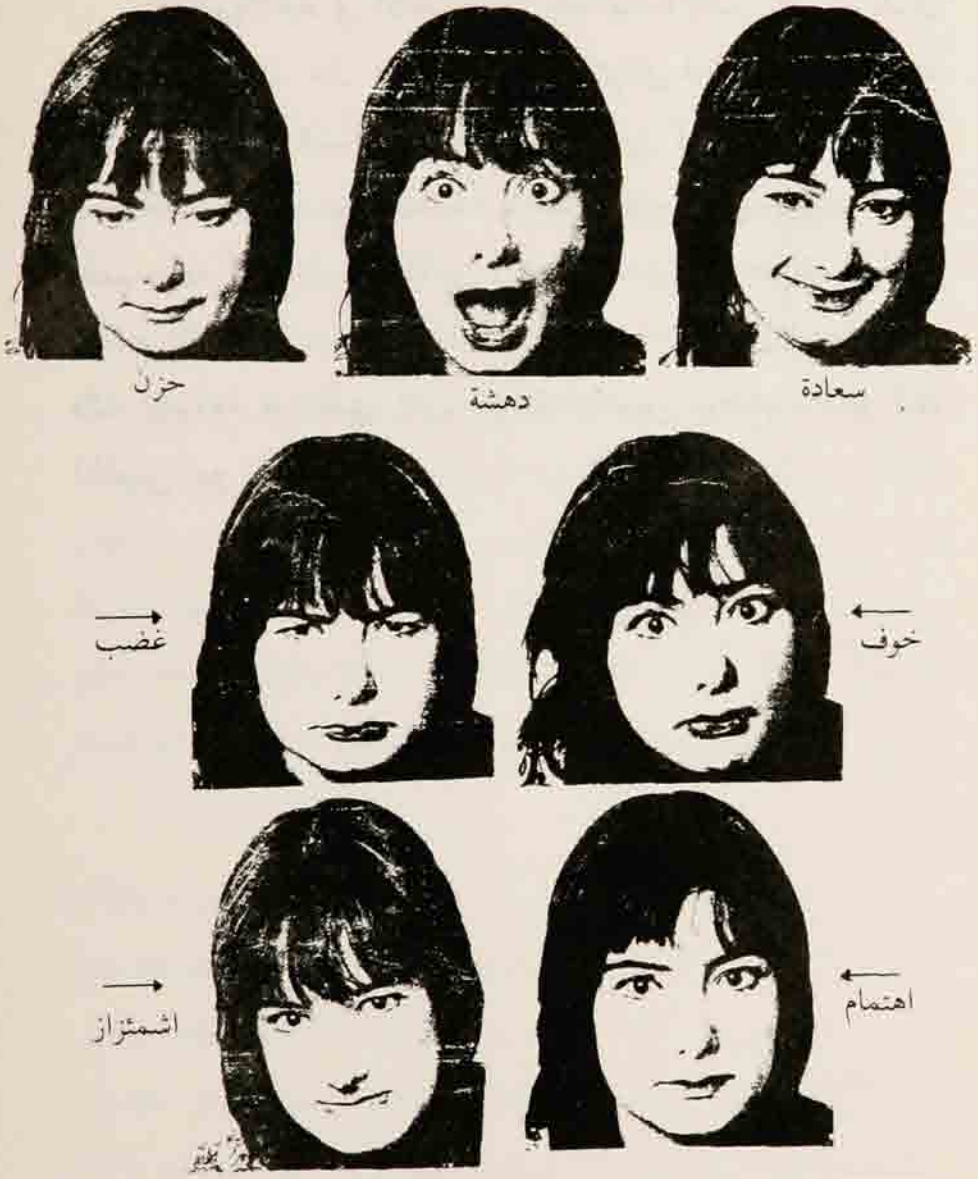

(*) مأخوذة من كتاب: Bodily Communication, Michael Angyle, 1976.

٢ ـ اتساع حدقة العين الرمزية لمشاعر مختلفة.

سرور

غضب

دهشة

دهشة وغضب

سرور وغضب

دهشة وسرور

٣ - أوضاع الوقوف الرمزية ودلالاتها.

فضول

حيرة

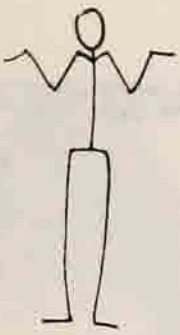

لامبالاة

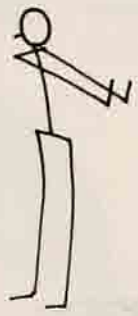

رفض

مراقبة

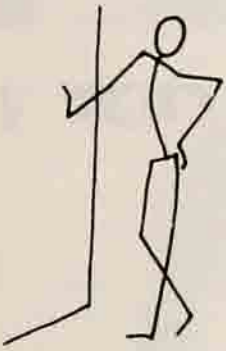

احساس بالرضا

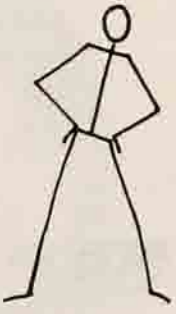

اصرار

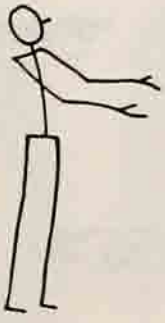

ترحيب

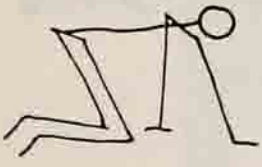

البحث عن شيء

خلسة

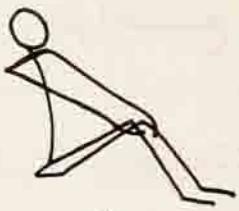

منتبه

تأثر

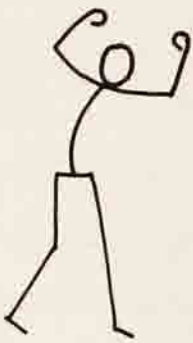

غضب عنيف

اثارة

غدر

مندهش، مهيمن، متشكك

استرخاء

خجل

مراقبة

تفكير تأمل

المراجـــع

1. Argyle, M.; Bodily Communication, Methuen Comp., London, 1976.
2. Argyle, M.; The Psychology of Interpersonal Behavior, Second Ed., Penguin Books Ltd., Middlesex, 1972.
3. Fast, J.; Body Language, M. Evans and Comp. Inc., 1970.